

الوسطية فى العبادة

من العبادات التى تتجلى فيها الوسطية : الصلاة، فليست كثيره شاقة ولا قليلة لا تترك أثراً، بل هى خمس صلوات فى اليوم واللييلة، ولا تعارض بين أدائها وبين العمل فى الحياة، والسعى على الرزق، فالمسلم يعمل ويكدح، ويسعى، فإذا نودى للصلاة، أجاب ثم يعود إلى عمله .. وهكذا فهو يعمل لدنياه ويعمل لآخرفته.

وفى يوم الجمعة يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١).

ولا تستغرق مساحة كبيرة من اليوم، وإنما حددها رب العزة سبحانه فى مواقيت معينة دون إفراط ولا تفريط، ولا مشقة فى أدائها ولا حرج :

﴿ لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٢).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٣).

(١) سورة الجمعة : الآيتان (٩ ، ١٠).

(٢) سورة البقرة : آية (٢٨٦).

(٣) سورة التغابن : آية (١٦).

وفى أداء الصلاة والقراءة فيها لا يجهر بها ولا يخافت، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَاتَّبِعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ (١).

وألا يؤدي صلاته بسرعة دون طمأنينة، ولا يطيل بالمصلين إذا كان إماماً إطالة تشق عليهم، بل عليه أن يؤدي صلاته بكامل أركانها مطمئناً بها خاشعاً لله وألا يطيل بالناس.

وعندما أطال معاذ في صلاته، وشكا منه بعض المسلمين قال له الرسول ﷺ : « أَفَتَأْنَأْتُ » (٢) قالها ثلاث مرات، ثم قال : « فلولاً صليت بسبِّح اسم ربِّك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، فإنه يصلى وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة ».

وقد وجَّه الرسول ﷺ بعض الذين أرادوا أن يشددوا على أنفسهم بعد أن سمعوا موعظته وجهَّهم إلى الوسطية وعدم المغالاة :

عن أنس رضى الله عنه أن نفراً من أصحاب النبی ﷺ سألوا أزواج النبی ﷺ عن عمله فى السر، فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا أكل اللحم، وقال بعضهم : لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه فقال : « ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر

(١) سورة الإسراء ، آية (١١٠).

(٢) رواه البخارى ومسلم.

وأنزول النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ، (١) .

وقد أمرنا الله تعالى أن نقتدى برسول الله ﷺ حيث قال :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢) .

وهكذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه - وهو الأسوة الحسنة والنبى المعصوم المقتدى به - يحث على الوسطية وينهى عن المغالاة، والتشدد، وقد قال رب العزة سبحانه : ﴿ وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (٣) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « ملك المتنطعون، ملك المتنطعون » (٤) وهم المتعمقون الذين يتشددون فى غير موضع التشديد.

إن رحمة الإنسان بنفسه لها أهميتها وأثرها، حتى ولو كان ما يأتيه الإنسان عملاً من أعمال العبادة، فالإسلام يدعو الإنسان إلى إعطاء جسده قسطاً من الراحة، ليستطيع القيام بأعماله وعباداته .

عن أبى ربيع حنظلة بن الربيع أحد كتاب رسول الله ﷺ قال : لقينى

(١) رواه مسلم ورواه البخارى بلفظ آخر قريب منه .

(٢) سورة الأحزاب ، آية (٢١) .

(٣) سورة البقرة ، آية (١٩٥) .

(٤) رواه مسلم .

أبو بكر رضى الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول الله ﷺ ، يذكرنا بالجنة والنار كأننا رأى عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات (أى : مارسنا ولاعبنا) نسينا كثيراً ، قال أبو بكر رضى الله عنه : فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ، فقلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : وما ذاك ؟ قلت : يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأننا رأى العين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيراً ، فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عليه عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ، ساعة وساعة ، ساعة وساعة » (١) .

تلك هى رحمة الإنسان شرعها الإسلام وجعل تعاليمه تنادى إليها وتحرص عليها .

وكما نلاحظ الوسطية فى الصلاة نلاحظها أيضاً فى الزكاة فلم تُفرض فى كل وقت ، ولكن : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ (٢) ، وعند بلوغ النصاب وفى التقدين بعد مرور حول ، وإذا كان الجهد المبذول أكثر كان ما يدفع أقل ،

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة الأنعام ، آية (١٤١) .

وإذا كان الجهد أقل كان ما يدفع أكثر فما سُقى من الزروع والثمار بماء السماء أو بدون آلة أو تعب ففيه العشر، وما كان بتعب أو آلة ففيه نصف العشر، وما كان فيه تعب أكثر وجهد أكثر ففيه ربع العشر كزكاة النقيدين وعروض التجارة، وما جاء بلا تعب كالركاز ففيه الخمس .

وإذا نظرنا إلى الصيام وجدنا أنه يرخص بالفطر للمريض والمسافر والحامل والمرضع، وعليهم القضاء بعد ذلك، وأن الحج إنما يجب مرة واحدة في العمر كله وهو على المستطيع .

وهكذا نرى أن العبادات لا مشقة فيها ولا حرج، قال تعالى :

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(١) .

وقال الله سبحانه : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُم فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٢) .

كما قال الله سبحانه : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(٣) .

(١) سورة البقرة ، آية (١٨٥) .

(٢) سورة الحج ، آية (٧٨) .

(٣) سورة البقرة ، آية (٢٨٦) .